توجهات الحزب الشيوعي العراقي من القضية الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨

أ.م.د سيف عدنان ارحيم

الجامعة العراقية– كلية الآداب

تعد القضية الفلسطينية من بين القضايا التي القت بظلالها على الوضع العربي من جهة والدولي من جهة اخرى، وفي ظل ذلك الوضع كان للأحزاب السياسية العراقية ذات الطابع المحلي والأممي كالحزب الشيوعي العراقي الذي كانت له رؤى متباينة في تعامله مع تلك القضية التي كرس الكثير من وثائقه وبياناته وبرامجه لوضع حلول وفق تعليماته الاممية وفق قاعدة حق الامم في تقرير مصيرها.

ومن يطرح موقف الحزب من القضية الفلسطينية يجب ان ينظر الى الاحداث الدولية التي رافقت القضية الفلسطينية عبر تاريخها

هناك حقيقة يجب التوقف عندها، فقد كان الحزب الشيوعي العراقي ينظرون الى قضية فلسطين نظرة خاصة بهم ميزتهم عن باقي الاحزاب والقوى السياسية، إذ كانوا يفصلون بين الصهيونية واليهودية، فعدوا الصهيونية أساس البلاء، في حين ان اليهود فئة مضطهدة من قبل الاستعمار والصهيونية.

ان هذه الرؤية التي بقى الحزب الشيوعي العراقي ملازم لها منذ نشأته في عام ١٩٣٤ وحتى منتصف الاربعينيات وهي فترة اقرار التقسيم، قد مر الحزب الشيوعي العراقي بمدة اضطراب تنظيمي بعد اعتقال يوسف سلمان يوسف سكرتير الحزب الشيوعي العراقي وأعضاء المكتب السياسي(حسين الشبيبي–وزكي بسيم)ادخل الحزب الشيوعي في صراع قيادي للحزب وتولي قيادة الحزب من كوادر لم تكن مهيأة للعمل التنظيمي بشكل جيد.

في الوقت ذاته، كانت هناك ملاحقات مستمرة لتنظيمات الحزب الشيوعي من قبل دائرة التحقيقات الجنائية التي سخرت منتسبيها لكشف اوكار ومقرات الحزب السرية وهو ما خلق حالة من الارباك في توجهات الحزب، وسلسلة الانهيارات المستمرة للجان الحزبية التي بدأت تنهار الواحدة بعد الاخرى والتي وصل عددها الى اكثر من ستة لجان حزبية بين مدة اعتقال فهد وإعدامه في بداية ١٩٤٩.

ان تسليط الضوء على موقف الحزب الشيوعي العراقي من قرار تقسيم فلسطين وفق التأييد السوفيتي للقرار كان له مردودات سلبية على وضع الحزب داخلياً لاسيما مع مدة صعود اليهود العراقيين لمراكز قيادية في الحزب الشيوعي العراقي.

توطئة:

رؤية الحزب الشيوعي للقضية الفلسطينية

إن تاريخ الحزب الشيوعي العراقي يعود الى بداية عشرينيات القرن العشرين وتشكيل الحلقات الاشتراكية الاولى التي شكلها حسين الرحال في عام ١٩٢٤ والتي أخذت على عاتقها اثارة المخاوف من الصهيونية وكانت باكورة اعمال تلك الحلقة التنديد بزيارة الوزير البريطاني الفرند موند الى العراق في الثامن من شباط عام ١٩٢٨ وعبروا بشكل واضح وصريح عن معاداتهم للصهيونية، والتي أدت الى اعتقالهم في المظاهرة التي نظمها اعضاء الحلقة ومنهم حسين الرحال وعزيز شريف وعبدالفتاح ابراهيم وزكي خيري وعبدالقادر اسماعيل البستاني[١].

بدأ الحزب الشيوعي العراقي يواكب تطورات القضية الفلسطينية منذ تأسيسه في عام ١٩٣٤ وكانت صحيفة الحزب(كفاح الشعب) قد اعلنت في عددها الثاني الصادر في اب ١٩٣٥ عن احتجاجها بقوة ضد السياسيات التي سلكها الانتداب البريطاني في فلسطين والقمع الذي يمارسه ضد ثوار الشعب الفلسطيني، وتعاون الشيوعيون والقوى القومية لتهريب السلاح الى الثوار الفلسطينيين وكان يعمل لهذا الغرض يونس السبعاوي مع الكادر الشيوعي قاسم حسن بالتعاون مع فؤاد نصار احد قادة عصبة التحرر الوطني الفلسطينية[٢].ويسجل عام ١٩٣٧ البداية الحقيقة لموقف الحزب الشيوعي من فلسطين لاسيما بعد اندلاع الثورة الفلسطينية ١٩٣٣-١٩٣٦، والتي فجرت الموقف الشعبي العربي مما دفع بريطانيا لتشكيل لجنة لبيان اسباب الثورة.

اثار قرار تشكيل اللجنة البريطانية الحزب الشيوعي الذي دعا مؤيديه لتنظيم مظاهرات شعبية تندد بقرار اللجنة البريطانية التي اوصت بتقسيم فلسطين الى ثلاث دويلات، فنظم اجتماعاً في يوم ١٦ تموز ١٩٣٧ في جامع الحيدرخانة في بغداد احتجاجاً على قرار اللجنة وهتف المتظاهرون بسقوط(المؤامرات الاستعمارية) ضد الشعب العربي في فلسطين وسقوط وعد بلفور المشؤوم، فكانت هذه التظاهرة بداية المواقف الشعبية للحزب الشيوعي العراقي[٣].

وأخذ فهد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي على عاتقه يوضح خطر الصهيونية على فلسطين ففي كراس صدر له بعنوان(نحن نكافح في سبيل من؟ وضد من نكافح)، والذي ربط بين النضال من اجل القضية الفلسطينية ونضال الشعوب العربية وأهم ما ذكر بصدد ذلك "فيجب

ان نعلم جيدا ان فلسطين لا تتحرر اذا اقتصر امر تحررها على اجراءات الحكومات العربية في هذا الكفاح دون ان تشترك الجماهير الشعبية في البلاد العربية في هذا الكفاح، ان كفاحنا في سبيل فلسطين يحتم علينا مكافحة الدعوات العنصرية والطائفية التي يثيرها المستعمرون لغرض تفريق صفوفنا وإضعافنا لغرض صرفنا عن قضيتنا التحررية وعن معرفة اعدائنا الحقيقيين"[٤].

وفي مبادرة من الحزب الشيوعي العراقي دعا اعضائه من اليهود الى تشكيل تنظيم يفضح الصهيونية وفي الوقت ذاته يعطي تفسيراً واضحاً لموقف الحزب الشيوعي وضرورة الفصل بين اليهودية والصهيونية، فتقدم مجموعة من اليهود الشيوعيين بطلب الى وزارة الداخلية في ١٢ ايلول ١٩٤٥ بتأسيس منظمة سميت بـــ"عصبة مكافحة الصهيونية"، وأهم ما جاء في الطلب الذي قدمته العصبة مدى مخاطر الصهيونية على فلسطين خاصة والعرب عامة، وإعلانهما وجوب مناصرة عرب فلسطين والوقوف بجانبهم كونه واجب وطني مقدس[٥].

وبدأت "عصبة مكافحة الصهيونية" على عاتقها فضح الصهيونية وأهدافها في فلسطين وبدأت بسلسلة من عقد الاجتماعات العامة التي عقدتها في الوية العراق المختلفة، ففي بيان لها قبل اجازتها بإصدار بيان في الثاني من تشرين الثاني ١٩٤٥، بمناسبة صدور وعد بلفور واهم ما جاء فيه"ان حل مشكلة اليهود يتم بحل مشكلتهم في البلدان التي يعيش فيها هؤلاء اليهود، وان احتلالهم لفلسطين لا يحل المشكلة اليهودية وهو اعتداء صريح على حقوق الشعب العربي ولا يمكن ان يرضاه اي انسان" ودعوا كل المواطنين الى النضال من اجل استقلال فلسطين استقلالاً تاماً وتأليف حكومة عربية فيها، ووقف الهجرة الصهيونية اليها وايقاف انتقال الاراضي الى الصهيونية، واختتم البيان بعبارة" عاشت فلسطين عربية مستقلة ديمقراطية، ويسقط وعد بلفور ويسقط الاستعمار والصهيونية"[٦].وعلى أي حال، كان التقدم الملموس في موقف الحزب الشيوعي تجاه فلسطين العمل على تحشيد اعضائه من اليهود في تنظيم رسمي وتفسير نظريته الفصل بين الصهيونية واليهودية من جهة والعمل على النأي بالنفس عن التهمة التي وجهت للحزب الشيوعي من الجهات الامنية بأن في صفوفه من اليهود الصهاينة.

وبالأضافة الى ذلك قدم الحزب الشيوعي العراقي مذكرة الى الحكومة العراقية في ١٢ كانون الاول ١٩٤٥ وقدم نسخة منها الى البرلمان العراقي والى رؤساء الدول الكبرى والدول العربية أوضح فيها أن الحكومة العراقية تدعي مناصرة عرب فلسطين ضد الصهيونية لكن هذه

النصرة غير ملموسة لدى الشعب العراقي بل ما ملموس هو العكس من ذلك، واختباراته اليومية تبرهن على أن الحكومة العراقية تمنه الشعب العراقي من مناصرة شعب فلسطين، تمنعه من مكافحة الصهيونية وبهذا تسهلى على الصهيونية وعلى القوى الرجعية السير بخططهم [٧].

وفي عام ١٩٤٦ حلت ببغداد ودول عربية أخرى لجنة تحقيق أنكلو-امريكية حول مصير فلسطين، جوبهت في العراق بموجة احتجاجات وإضراب عام رافقته مظاهرات نظمها الحزب الشيوعي العراقي خلافاً لرأي الاحزاب العراقية التي لم توافق على تلك المظاهرات كونه صادف مع بداية اجازتها وهو ما سبب توتراً بينها وبين الحزب الشيوعي[٨].

كان الحزب الشيوعي العراقي يرى أن سياسة تأليف اللجان الدولية التحقيقية سياسة عديمة الفائدة لحل هذه القضية، الهدف منها المماطلة والتسويف واشغال العرب عن قضيتهم الجوهرية بقصد القيام بهجوم جديد لدعم الصهيونية وتثبيت اقدام الاستعمار في فلسطين، وأن حل مشكلة فلسطين لا يتم الا عن طريق نضال الشعب العربي المشترك، ورفع قضية فلسطين الى مجلس الأمن على اساس الغاء الانتداب واستقلال فلسطين استقلالاً تاماً، ومن هذا المنطلق قاطع الحزب الشيوعي اللجنة الانكل-امريكية الوافدة الى العراق عام ١٩٤٦ وطالب الاحزاب الأخرى الى مقاطعتها لأن من شكلها هم الذين تسببوا في المشكلة[٩].

ودعا الحزب الشيوعي في بيان له في ٦ حزيران ١٩٤٦ بياناً دعا فيه الى ضرورة "تنظيم مظاهرات سلمية يعبر فيها شعبنا عن ارادته في عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن على أثر تكثيف الاستعمار البريطاني والأمريكي تآمره على مصير فلسطين وبعد ان مر الاضراب العام الذي اعلنته جميع الشعوب العربية في يوم ٥ ايار ١٩٤٦ دون ان تحرك الحكومات العربية ساكناً"، كما دعا الحزب جميع الاحزاب الوطنية للاشتراك في المظاهرة لكونها "تظهر حركتنا الوطنية بقوتها الموحدة متصفة بوعي شعبنا الذي يعرف لماذا يناضل وضد من يناضل"، وخرجت مظاهرات في ٢٨ حزيران ١٩٤٦ دون ان تساهم بها الاحزاب الوطنية بحجة ان الوقت لم يحن بعد لمثل هذه الدرجة من النضال، الا أنهم نجحوا في تحشيد الطلاب من مختلف الكليات وتجمعوا في كلية الهندسة ومن ثم انطلقت المظاهرة باتجاه باب المعظم تحمل شعارات تهتف بحياة فلسطين واستقلالها الأمر الذي ادى الى كسب عطف قوات الجيش المرابطة في الثكنة العسكرية في(الكرنتينة)[١٠].

والمثير ان المظاهرة التي نظمها الحزب ضمت اليهود المنتمين لصفوفه منددين بالصهيونية، إذ قتل اول يهودي شيوعي وهو شاؤول طويق في تلك المظاهرة وهو يندد بالصهيونية وموقفها ازاء فلسطين كما مر بنا(١١).

حاول الحزب الشيوعي من جانبه التعبير عن وجهة نظرهم بوجوب عرض القضية الفلسطينية على مجلس الأمن، وهذا ما حذا بالهيئة المؤسسة بحزب التحرر الوطني الواجهة العلنية للحزب الشيوعية الى نشر بيان يدعو الجماهير الشعبية الى تنظيم المظاهرات للتنديد بالسياسية الاستعمارية في فلسطين(١٢).

وربط الحزب الشيوعي العراقي وبصورة واضحة ما بين موقفه من القضية الفلسطينية وبين نضاله الداخلي فكان الاحتجاج على المظالم الجارية بحق الشعب الفلسطيني والتنديد بسياسة الارهاب واغتصاب فلسطين، وهذا ما دفع الحزب الشيوعي ان يندد بإنزال قوات بريطانية في البصرة من خلال المظاهرة التي نظمها في التاسع من ايلول ١٩٤٦ التي انطلقت من جامع الحيدرخانة ضد انزال القوات البريطانية اذ كان اول شعاراتها تأسيس دولة عربية ديمقراطية مستقلة في فلسطين(١٣).

تباين موقف الحزب الشيوعي وفق الرؤية السوفيتية

في يوم ١٤ ايار ١٩٤٧ أعلن وزير الخارجية السوفيتي أندريه غروميكو في بيان تلاه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة أنه "لا يمكن ضمان المصالح المشروعة للسكان اليهود والعرب في فلسطين على حد سواء الى بإقامة دولة عربية-يهودية مستقلة وثنائية وديمقراطية ومتجانسة، وأذا ثبتت هذه الخطة كونها مستحيلة التنفيذ فسيكون ضرورياً أخذ الخطة الأخرى بالاعتبار وهي الخطة التي تنص على تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين، واحدة يهودية وأخرى يهودية"(١٤).

كانت التبعية الأممية للحزب ان يقع في حيرة من أمره ما بين رغبته الشخصية في الوقوف ضد قرار التقسيم ومناصرة عرب فلسطين بشكل ينسجم مع مناشداته السابقة بالعداء للحركة الصهيونية ولفكرة الوطني القومي الصهيوني في فلسطين، وما بين تبعيته الأممية وتأييد موقف الاتحاد السوفيتي لهذا القرار، وهو ما اوقعه في ارباك حزبي في ظل غياب قيادة الحزب(١٥).

وفي ظل ظهور القضية الفلسطينية على مسرح الحياة الدولية توقف نشاط الحزب الشيوعي العراقي بعد اعتقال قيادته، واستمر حتى بداية الاربعينيات بعد ان تمكن يوسف سلمان يوسف(فهد)من اعادة نشاط الحزب الشيوعي وتوحيد منظماته لتبدأ مرحلة جديدة اكثر فاعلية ازاء التطورات الداخلية والعربية والدولية، لاسيما مع قيام الحرب العالمية الثانية، وتبلور الموقف الصهيوني من فلسطين، فكتب فهد بصدد ذلك "وحدة القوى

وإذا كانت مواقف الحزب الشيوعي من القضايا الداخلية قد عززت مكانته بين الجماهير حتى أصبح له رصيد في المجلس النيابي، إلا أن موقفه المتذبذب من قضية فلسطين، قضية العرب والمسلمين الاولى، قد أدت الى سحب البساط من تحت أقدامه في صفوف الجماهير، ويبدو ان ذيلية ولائه للاتحاد السوفيتي في قضيه فلسطين قد هزت كيانه وصدعته في الصميم.

اليهود الشيوعيين وقيام (اسرائيل)

ومن المعروف إن تناول قضية فلسطين من المواضيع الشائكة التي هزت كيان الحزب الشيوعي العراقي امام القوى القومية المنافسة له جماهيرياً، لاسيما في ظل وصول قيادات يهودية الى قيادة الحزب وفي ظل تغيب قادته في السجون، ليصبح اليهود هم الطرف المعني من تلك القضية ان التحالف القلق الذي بدأ بين اليمين القومي المتمثل بحزب الاستقلال واليسار الشيوعي قد اتحد لمواجهة سياسة الحكومات العراقية ومنها معاهدة بورتسموث ١٩٤٨ قد تغير الى هجوم بعد موقف الحزب الشيوعي المؤيد لقيام (اسرائيل)[١٦]، أن موقف الحزب الشيوعي من القضية الفلسطينية قد تغير تغيراً جوهرياً فبعد أن كان الحزب ينادي بفلسطين عربية ديمقراطية مستقلة أنقلب الى نقيضة فأيد مشروع التقسيم فيما بعد على وفق الموقف السوفيتي، وورود رسالة من الحزب الشيوعي الفرنسي، وكلا الموقفين أنعكست في تبني هذا الموقف ويشرحان أسباب التناقض في الموقفين، فيما حاول البعض متحيزاً، ان يعزو سبب هذا الموقف بعداً آخر، متمثلاً في ماهية ومضمون قيادة الحزب من قبل اليهود مما جعل موقف الحزب متناغماً مع الصهيونية.

ولا يمكن الفصل بين دور بعض اليهود المنتمين للحزب الشيوعي العراقي في التاثير على قراراته، فبعد القرب من اعلان قيام الكيان الصهيوني والتي بدأت الاحزاب الشيوعية بالحذر من اليهود المنتمين لصفوفها وهو ما أكده خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعي السوري

معللاً ذلك الموقف قائلاً:"لقد رأينا أن وجود يهود في قيادة بعض الاحزاب الشيوعية العربية ومنها الحزب الشيوعي امر غير طبيعي لاسيما بعد قيام الكيان الصهيوني لأنهم لم يكونوا حياديين تجاه اتخاذ قرارات صحيحة"(١٧).

واجه اليهود من الشيوعيين ارباكاً بعد قيام الكيان الصهيوني، وكان الأرتباك مرتبطاً بالتراجع المفاجئ للاتحاد السوفيتي عن سياسته القديمة المعارضة للصهيونية، وهو يمثل موقف محرج للشيوعيين العراقيين ككل، فهؤلاء قد تربوا دوماً على أساس العداء للحركة الصهيونية ولفكرة الوطن القومي الصهيوني في فلسطين العربية، فضلاً عن الشيوعيين اليهود الذين كانوا ينظرون الى الصهيونية على أنها "**خطر يهدد اليهود أنفسهم**" وكان هؤلاء انفسهم قد وجهوا يوم ٢٩ أيار ١٩٤٦ نداءً إلى رئيس الحكومة السوفيتية جاء فيه "**إننا نتضرع إليكم أيها الرفيق ستالين، أن تؤيدوا قضية فلسطين عندما تطرح أمام الأمم المتحدة، لا التباس في حق شعب فلسطين العربي بالاستقلال، وقضيتهم لا علاقة لها بمأزق اليهود المقتلعين**"(١٨).

وعند اعلان قرار تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ وقف الحزب الشيوعي موقف المعارض لقرار التقسيم ومنهم الشيوعيين اليهود الذين كانوا يؤمنون بالفكر الأممي المناهض للصهيونية، فساهموا في التظاهرات التي نظمها الحزب لاسيما المظاهرات الطلابية التي خرجت في كانون الأول ١٩٤٧ احتجاجاً على قرار التقسيم، ولكن عند التصويت على اعلان قيام الكيان الصهيوني في أيار ١٩٤٨ والاعتراف به من قبل الاتحاد السوفيتي، سبب ذلك الموقف صدمة للشيوعيين وانتقادات داخلية للموقف السوفيتي، مما سبب هذا من صراع داخل الشيوعيين انفسهم، وانتقادات لاذعة من قبل القوى الوطنية الاخرى(١٩).

ومما زاد من تعقيد الموقف عندما اصدر الحزب بيانه في ٦ تموز ١٩٤٨ المؤيد قرار التقسيم، وانتقد كل من يعارض الموقف السوفيتي لحل قضية فلسطين ودعا البيان إلى:"**تأليف دولة مستقلة في القسم العربي من فلسطين والاعتراف بـــ(دولة اسرائيل)، وإذا كانت سياستنا هذه مطابقة لسياسة الاتحاد السوفيتي فالذنب ليس ذنبه او ذنبنا انه الواقع أو الاستراتيجية العلمية الماركسية-اللينينية التي تنير الطريق لكل مناضل ضد الاستعمار فكل من سار عليها وجد نفسه في عين الموقف مع الاخرين السائرين عليها**" (٢٠).

ولم يكتفِ الحزب بتبني قرار التقسيم بل ذهب الى ابعد من ذلك عندما طالب ان تكون الدولة في فلسطين تحت قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني والحزب الشيوعي اليهودي، فقد اكد على ان الحل لمشكلة فلسطين لا يكون بغير الحل الاشتراكي وتوحيد قوى حزبي التحرر الوطني لفضح شوفينية البرجوازية اليهودية والإقطاعية العربية المسيطرة الان على اغلب القوميتين، ودعى الى ضرورة أحلال الوئام بين العرب واليهود(٢١)، وذكر صالح الحيدري ان الحزب الشيوعي وقع في اخطاء عديدة جراء عدم تقدير مشاعر الناس تجاه قضية فلسطين في نشاطاته الإعلامية والحزبية ومنها قضية قرارات تقسيم فلسطين وهيمنة اليهود على قيادة الحزب عند التقسيم(٢٢).

فضلاً عن ذلك فقد تم تبني الحزب لكتاب (ضوء على القضية الفلسطينية) في اب ١٩٤٨، بحيث اوقع الحزب في مأزق كون قيادته كانت من اليهود وبالتالي اتهمت القوى القومية والإسلامية الحزب الشيوعي بان قيادته ينتمون الى الحركة الصهيونية، وفي حقيقة الامر كان يهودا صديق في تلك المدة كان بعيداً عن مركز صنع القرار في الحزب لأنه كان منزوي في كركوك من اجل التهيؤ للسفر، ولم يكن في الحزب من اليهود سوى ابراهيم شاؤول ويوسف زلوف، وكان الاخير قد نقل للعمل في البصرة، وبقت اصابع الاتهام موجهة الى ابراهيم شاؤول كونه مميز بذكاء ملحوظ وما يمتلكه من تأثير على مالك سيف، في حين حاول كاتب سيرة الحزب الشيوعي ان يرجح ان من تبنى الكتاب كان شريف الشيخ لكونه هو صلة الوصل بين مركز الحزب وبين لجنة الطلاب في باريس التي تبنت الكتاب(٢٣)، في حين ذكر مالك سيف ان ابراهيم شاؤول مسؤول منظمة الحزب في الرصافة كان من المؤيدين لقرار التقسيم وهو يستند في ذلك لثقافته الماركسية العالية مبيناً في رأيه"**ان(اسرائيل) نموذج للدولة الديمقراطية التي خصها لينين بالذكر في مؤلفاته**"(٢٤).

ان موقف الحزب هذا فيما يخص تبنيه للموقف السوفيتي اوقعه في خطأ تاريخي لم يستطع ان يبرره في تلك المدة وهذا ما أكده الكادر الشيوعي سالم عبيد النعمان والقريب من سكرتير الحزب فهد في سجنه حيث وصف موقف حزبه بانه "**هو الذي اضعف مقدرة الحزب الشيوعي على تحريك الجماهير وساهم في عزلته ثم القطيعة بينه وبين الاحزاب الرسمية،**

وكان هذا بداية النكسة، أي بداية الهجوم الرجعي لاستعادة المراكز التي افتقدها رؤوس هذا النظام"[٢٥].

ان من جملة ما وقع به الحزب الشيوعي العراقي هو الارباك التنظيمي لكوادره، فلو عدنا الى موقف فهد في سجن لتحديد موقف الحزب من قضية فلسطين فأنه أوصى مالك سيف مسؤول الحزب انذاك ان يتشاور مع شيوعيي سورية وفلسطين، ولم يرد لفهد اجابة من مالك سيف عن اتصالاته مع الاحزاب الشيوعية التي حددها فهد بل تبنى مالك سيف كتاب اثار جدلاً في صفوف الحزب هو كتاب "ضوء على القضية الفلسطينية" الذي اثار فهد واستهجانه له ورفض قراءته امامه، وأصل التقرير قد ورد من باريس موقع بأسم "اللجنة العربية الديمقراطية في باريس" وزعيمها يوسف اسماعيل البستاني، التي كانت تتصل بالحزب الشيوعي عن طريق الكادر شريف الشيخ الذي نقل التقرير بعد مقابلته الشيوعي "راناجت كوها" الذي عبر لشريف الشيخ عن امله في ان يرى الشيوعية تناضل من اجل تقسيم فلسطين[٢٦].

يجب الاشارة الى ما جاء في كراس "ضوء على القضية الفلسطينية" الذي اثار جدلاً لا في صفوف الحزب ومؤيديه بل في صفوف المعارضة والتي وجدتها فرصة للتعبير عن رفضها لموقف الحزب، وضم التقرير(١٤)صفحة من القطع الصغيرة كتب عليه"وردنا بيان اللجنة العربية الديمقراطية في باريس ننشره بنصه لانسجامه مع سياسة حزبنا الشيوعي ولتنوير الرأي العام عن هذه القضية المهمة التي يريد الاستعمار وعملائه الرجعيون ومن والاهم من الاحزاب تحريفها وتزوير حقائقها لتضليل الرأي العام بغية تسهيل وتنفيذ مؤامرات المستعمرين، وتناول التقرير الحركة اليهودية واصلها وظهور الصهيونية، ثم تطور الحركة بمختلف مراحلها، والقضية الفلسطينية منذ تصريح وعد بلفور ١٩١٧ وتفاقم المشكلة اليهودية بعد وصور النازيين الى الحكم في المانيا وشروعهم باضطهاد اليهود في المانيا وفي البلدان الاوربية الاخرى التي احتلتها جيوش هتلر، وهجرة اليهود بأعداد كبيرة الى فلسطين، كما تحدث عن اليهود الذين اضطهدتهم النازية، وحاول الكراس ان يقنع القارئ بأن المجتمع الجديد أكتسب بفعل التغيرات الكمية التي طرأت عليه وهجرة اعداد كبيرة لا بدافع الدعاية الصهيونية انما بدافع اللجوء الى مكان آمن، وبرر قبول الاتحاد السوفيتي بالتقسيم واعترافه بدولة اسرائيل داعياً في النهاية الى الوقوف بوجه الحرب ضد اسرائيل والسعي لحل المشكلة سلمياً استناداً الى آراء لينين وستالين

القائلة بأن مثل هذه الحرب ما هي الا حرب لخدمة الاستعمار كونها تدار من قبل الرأسماليين وحملت خاتمة الكراس عنوان "واجبات الديمقراطيين والوطنيين ازاء مشكلة فلسطين"(٢٧).

وعندما أطلع فهد في سجنه في الكوت على كراس "ضوء على القضية الفلسطينية" فأنه رفض تكملة قراءة الكراس بعد الرؤيا التي حملها الكراس والتي تدعو الى تأييد قرار تقسيم فلسطين(٢٨).

وعندما فتح باب التطوع للقتال في صفوف الجيش العراقي في فلسطين، ارادت قيادة الحزب ان تعيد ما فقدته من رصيد جماهيري، إذ أرادت ان يفتتح باب التطوع بين صفوفه، لكن فهد رفض في رسالة له من سجنه ذلك المقترح معللاً بقوله بأنه"**لا فائدة في التطوع اذ اننا لا نثق بقيادة الرجعية التي اتخذت هذه المهزلة وسيلة لتنفيذ اغراض استعمارية مفضوحة، ولا نرى مانعاً من ارسال الحزب بعض اعضائه في صفوف المتطوعين في الجهاد في فلسطين لجمع المعلومات عن الحرب وإرسالها للحزب**"(٢٩).

وبعد رفض هذا المقترح شجب الحزب الشيوعي من جانبه الحرب ووصفها بأنها "**مؤامرة جديدة ضد فلسطين وشعبها المناضل، وهاجموا القيادات العربية التي انتمت الى معسكر الاستعمار والصهيونية**"(٣٠)، وبهذا زاد التنافر بين القوى القومية واليسارية.

فبعد نشر تقرير لجنة التقسيم في التاسع من تشرين الثاني ١٩٤٧(٣١)، الذي نص على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وتكوين دولتين عربية ويهودية كان موقف الحزب الشيوعي في غاية الحساسية، ومما تجدر الاشارة اليه أن صحيفة الحزب "كفاح الشعب" قد احتجت بقوة في آب ١٩٣٥ ضد سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين(٣٢)، كما أن موقفه واضح بما جاء في الميثاق الوطني لعام ١٩٤٥، اذ طالب بالاستقلال والسيادة الوطنية لفلسطين ضد الصهيونية والدول المستعمرة(٣٣).

الا أن تصويت الاتحاد السوفيتي على قرار التقسيم في التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٨ الى جانب الولايات المتحدة الامريكية وقوى اخرى لصالح التقسيم(٣٤)، أوقع اعضاء الحزب الشيوعي العراقي في حيرة وانقسام، ففي البداية رفضوا قرار التقسيم والانحناء للنظرة السوفيتية الجديدة بل أكدت اللجنة المركزية في توجيه داخلي "أن موقف الاتحاد السوفيتي وفر للصحف المرتزقة فرصاً للتشهير بالاتحاد والحركة الشيوعية"(٣٥).

رفض الشيوعيين في البداية تخليهم عن صيغهم القديمة كما رفضوا الانحناء للنظرة السوفيتية الجديدة وأكدت قيادة الحزب في توجيه داخلي صدر في كانون الاول ١٩٤٧، أهم ما جاء فيه "موقف الاتحاد السوفيتي بخصوص التقسيم وفر للصحف المرتزقة ومأجوري الامبريالية فرصة للتشهير بالاتحاد السوفيتي فقط، بل أيضاً بالحركة الشيوعية في البلدان ولذلك فأنه يجب على الحزب الشيوعي تحديد موقفه من القضية الفلسطينية وهي:

١-أن الحركة الصهيونية حركة عنصرية دينية رجعية، ومزيفة بالنسبة للجماهير اليهودية.

٢-أن الهجرة اليهودية لا تحل مشكلات اليهود المقتلعين من اوربا بل هي غزو منظم تديره الوكالة اليهودية، واستمرارها بالشكل الحالي يهدد السكان الاصليين في حياتهم وحريتهم.

٣-ان تقسيم فلسطين عبارة عن مشروع امبريالي قديم يستند الى استحالة التفاهم بين اليهود والعرب.

٤-شكل حكومة فلسطين لا يمكنه أن يتحدد إلا من قبل الشعب الفلسطيني الذي يعيش فعلاً، وليس من قبل الأمم المتحدة او دولة أو مجموعة دول أخرى(٣٦).

وفي ضوء هذا التوجيه استمر الحزب الشيوعي العراقي في موقفه المبدأي من القضية الفلسطينية حتى يوم ٢٤ ايار ١٩٤٨ ، وأ وقفت صحيفة الأساس التي كان الحزب الشيوعي العراقي يتخذها منبراً للتعريف بمواقفه أوقع الحزب في تخبط اعلامي(٣٧).

ان ما ربحه الحزب الشيوعي العراقي من رصيد جماهيري، فأوقع سلوك الاتحاد السوفيتي المؤيد لإسرائيل الحزب الشيوعي العراقي في أزمة معنوية، ثم حصل ارتباك تام حين ايد بعض الشيوعيين السياسة السوفيتية على اساس الولاء الحزبي، بينما رأى آخرون ان المصالح السوفيتية يجب ان لا توقع الاذى بالمصالح العربية(٣٨).

تغير موقف الحزب الشيوعي من القضية الفلسطينية تغيراً جوهرياً فبعد أن كان الحزب ينادي بفلسطين عربية ديمقراطية مستقلة أيد مشروع التقسيم ودعا الى تأليف دولة في القسم العربي من فلسطين والاعتراف بدولة اسرائيل، فأتهم الحزب بأنه يبتع سياسة موسكو تجاه فلسطين، وكان الاتحاد السوفيتي قد أيد مشروع التقسيم واعترف بإسرائيل فرد الحزب على هذا الموقف "اذا كانت سياستنا هذه مطابقة لسياسة الاتحاد السوفيتي فالذنب ليس ذنبنا انه المواقع او

الاستراتيجية العلمية الماركسية–اللينينة التي تنير الطريق لكل مناضل ضد الاستعمار فكل من سار عليها وجد نفسه في عين الموقف مع الاخرين السائرين عليها[٣٩].

فيذكر عزيز الحاج عن تذبذب موقف حزبه تجاه التقسيم"لم يؤيد الحزب الشيوعي قرار التقسيم الا في ٦ تموز ١٩٤٨ مطالباً باقامة دولة عربية ديمقراطية مستقلة في الجزء العربي من فلسطين، وواضح لي تماماً أن ذلك الموقف لم يجر بعد تحليل متعمق، وإنما بدافع وتأثير من الحزب السوفيتي"[٤٠].

موقف الحزب من الحرب العربية–الاسرائيلية

بعد قرار الاعتراف بإسرائيل وتحت الضغط الشعبي اضطر العراق في ٢٤ نيسان ١٩٤٨ ارسال قواته الى فلسطين تنفيذاً لقرار الجامعة العربية القاضي بالتدخل العسكري في فلسطين من اجل انقاذها من الصهاينة والوقوف بوجه قرار التقسيم ولمنع انتشار الاضطراب والفوضى لزوال الانتداب وعدم قيام سلطة شرعية تخلفه، وبلغ عدد هذه القوات في بداية الامر خمسة الالاف مقاتل، وازدادت بعد ذلك، اسندت القيادة العامة للجيوش العربية الى الملك عبدالله ملك شرق الاردن وقيادة القوات العراقية الى اللواء الركن نورالدين محمود الذي عين فيما بعد وكيلاً للقائد العام، وقد عقد القائد العراقي اجتماعاً مع الملك عبدالله في ٨ ايار ١٩٤٨ لدراسة الوضع في الاراضي الفلسطينية وللإطلاع على خطط القيادة العامة، فاستنتج القائد العراقي خلال هذه المقابلة بأن الحكومات العربية لم تتفق بعد على توحيد القيادة من الناحية الفعلية، كما لم تتفق على خطة معينة ولاحظ ان للملك عبدالله اتصالات مع بعض الحكومات العربية مثل مصر لحل القضية سلمياً[٤١].

وعندما بدأت الحرب العربية–الاسرائيلية ١٩٤٨ شكلت الحكومة العراقية (رابطة الدفاع عن فلسطين)، وفتحت الحكومة العراقية باب التبرعات للرابطة، الغريب في الأمر ان المتبرعين الرئيسيين كانوا من اليهود الشيوعيين، اذ دفعوا تبرعات سخية، في حين عزت الشخصية الصهيونية شلومو هليل سبب تبرع اليهود بأنه "خوفاً من الشك في أخلاصهم"[٤٢].

نظر الحزب الشيوعي الى الحرب على انها "لعبة أطفال بالنسبة الى الحرب الاستعمارية الكبرى وهي ميدان تدريب الجيوش العربية التي لم تمارس من قبل القتال مع جيش حديث التدريب والتسليح كالجيش اليهودي، ويريد الاستعماريون تجربة ابنائنا في القتال الدموي الحديث

الطراز خارج اقطارهم ليهودهم على الخدمة السفرية، تمهيداً لزجهم في ميدان يفتحه الاستعمار فيما بعد، وان السكوت عن جريمة الحرب الفلسطينية أكبر خدمة ممكن تقديمها للاستعمار هذا اليوم وواجب كل وطني حقيقي اليوم هو المطالبة بوضع حد لهذه الجريمة الكبرى وإنهائها فوراً على اساس استقلال العرب واليهود التام وتقرير مصير الشعبين بنفسهما كل في القسم الخاص به من فلسطين"[٤٣].

وعندما نشبت الحرب العربية الصهيونية، وصفها الشيوعيون بأنها مؤامرة جديدة ضد فلسطين وشعبها المناضل، وهاجموا القيادات العربية التي تنتمي الى معسكر الاستعمار والصهيونية[٤٤].

استغلت السلطات الحاكمة موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية وبدأت بالتنكيل بأعضائه وتنظيماته[٤٥]، إذ صدرت الاوامر من وزارة مزاحم الباجه جي[٤٦] بإلقاء القبض على الشيوعيين واعتقال اللجنة المركزية ومنهم يهودا صديق ومالك سيف[٤٧].

الخاتمة

نالت القضية الفلسطينية الجزء الكبير من أدبيات الحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه وعدها من أهم القضايا المحورية في نشاطه السياسي على الصعيدين العربي والدولي.

مر الحزب الشيوعي العراقي هو الأخر بتغييرات تنظيمية مستمرة بسبب الملاحقة المستمرة من قبل اجهزة التحقيقات الجنائية واعتقال قادته المؤسسين اوقع الحزب في أرباك وفوضى بفعل تعدد القيادات لتحديد موقفه من القضايا المهمة كالقضية الفلسطينية التي رافقت اعدام قادته (فهد–صارم–حازم) وأصبح الحزب يقاد من خلال القادة غير المؤهلين للقيادة والذين ادخلوا الحزب في فوضى داخلية نتيجة لمواقفهم اليسارية التي اتسمت بالراديكالية (المتطرفة) في احيان كثيرة.

من القضايا التي أثيرت حول الحزب الشيوعي العراقي هو موقفه المؤيد والمساند لقرار تقسيم فلسطين بل وقرار قيام دولة (اسرائيل) الذي جاء متناغماً مع القرار السوفيتي والذي اوقع الحزب في حيرة من امره بين الوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني وحقه في ارضه وبين موقفه المؤيد لقرار السوفيت والذين يعدون قراراتهم بانها الانضج فكرياً بل وتبنوا كراس"ضوء على القضية الفلسطيينة"الذي رفضه سكرتير الحزب فهد في سجنه لكن قيادة الحزب المكلفة بإدارة الحزب من قبل فهد تبنت هذا الكراس والذي احدث انقسام في صفوف الشيوعيين انفسهم.

هوامش البحث ومصادره:

(١) فؤاد حسن الوكيل، جماعة الاهالي في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص٦٩.

(٢) عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ٣ اجزاء، منشورات الثقافة الجديدة، دمشق، ٢٠٠٢، ج١، ص٣٧٨.

(٣) زكي خيري وسعاد خيري، دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، اصدار اليوبيل الذهبي، ١٩٨٤، ص٤٩.

(٤) يوسف سلمان يوسف(فهد)، نحن نكافح في سبيل من؟وضد من نكافح، منشورات التحرر، بغداد، ١٩٤٦.
(٥) عبدالرزاق الصافي، عصبة مكافحة الصهيونية، منشورات طريق الشعب، ١٩٧٦، ص٣٥.
(٦) عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ج١، ص٣٨٣.
(٧) عبدالله تركماني، الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي، دار الان، بيروت، ٢٠٠٢، ص٥٨٩.
(٨) عزيز الحاج، رحلة مع تحولات مفصلية(أوراق في مسيرتي الفكرية والسياسية)، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٢، ص٣٤.
(٩) شاكر كاظم الطائي، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩(دراسة تأريخية)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧، ص٣٠٣.
(١٠) زكي خيري وسعاد خيري، المصدر السابق، ص١٧٠.
(١١) بهاءالدين نوري، مذكرات بهاء الدين نوري، دار الحكمة، لندن، ١٩٩١، ص١١٧.
(١٢) سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة، ص١٤١.
(١٣) عبدالرزاق الصافي، المصدر السابق، ص٣٦.
(١٤) حنا بطاطو، العراق، ٣ اجزاء، منشورات دار القبس، الكويت، ١٩٩٢، ج٢، ، ص٢٥٥.
(١٥) مؤيد شاكر الطائي، المصدر السابق، ص٣٠٦.
(١٦)، إيستر مائير غليتشتاين، رحيل يهود العراق ١٩٤٨-١٩٥١، ترجمة:مصطفى نعمان احمد، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١٦، ص٣٠.
(١٧) مذكرات خالد بكداش يتحدث، حاوره:عماد نداف، دمشق، ١٩٩٣، ص٧١.
(١٨) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٢٥٦.
(١٩) جاسم الحلوائي، محطات مهمة في تأريخ الحزب الشيوعي العراقي، دار الرواد المزدهرة، بغداد، ٢٠٠٩، ص٤٤-٤٥.
(٢٠) جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٣، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٦، ص٣٧١-٣٧٢.
(٢١) م.أ.ع، الحزب الشيوعي العراقي-نشرة سرية عن اوضاع فلسطين، ١٩٤٨.
(٢٢) صالح الحيدري، مختارات من مذكرات صالح الحيدي، السليمانية، ٢٠٠٤، ص٨١.
(٢٣) عزيز سباهي، المصدر السابق، ص٣٩٨
(٢٤) مالك سيف، تجربتي في الحزب الشيوعي، دار الوقائع، بيروت، ١٩٧٤، ص٦٤.
(٢٥) سالم عبيد النعمان، نصف قرن من تأريخ وطن، المدى، بغداد، ٢٠١٢، ص٢٦٧.
(٢٦) سمير عبد الكريم، اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، جـ١، دار المرصاد، د.م، د.ت، ص١٠١.
(٢٧) الحزب الشيوعي العراقي، ضوء على القضية الفلسطينية، ١٩٤٨.
(٢٨) كاظم حبيب، يهود العراق والمواطنة المنتزعة، دار المتوسط، ميلانو، ٢٠١٥، ص٤٢٦.
(٢٩) الحزب الشيوعي العراقي، رسالة من فهد الى مالك سيف، ١٩٤٨، نقلاً عن:الموسوعة الجنائية السرية، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٥.

(٣٠) سيف عدنان ارحيم، الحزب الشيوعي العراقي من اعدام فهد حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، دار الحصاد، دمشق، ٢٠١٢، ص٥٨.

(٣١) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص٣١٨.

(٣٢) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص١١٢.

(٣٣) مؤلفات الرفيق فهد، المصدر السابق، ص ١٢٦

(٣٤) حنا بطاطو، المصدر السابق،ج٢ ص٢٥٥.

(٣٥) -مديرية الامن العامة-الموسوعة الجنائية السرية-موسوعة خاصة بالحزب الشيوعي العراقي، ٦ اجزاء، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٩، ج١-ج٢-ج٣-ج٤.

(٣٦) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص٣١٨.

(٣٧) عبدالله تركماني، المصدر السابق، ص٥٩١.

(٣٨) مجيد خدوري، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٢، ص١٦٤.

(٣٩) الموسوعة الجنائية السرية، ج٤.

(٤٠) عزيز الحاج، رحلة مع تحولات، ص٣٧.

(٤١) جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق ١٩٤١-١٩٥٢، ص٥٨٢-٥٨٣.

(٤٢) شلومو هيلل، تهجير يهود العراق، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، ٢٠١٤، ص١٢٢.

(٤٣) اللجنة المركزية الثانية

(٤٤) عبداللطيف الراوي، عصبة مكافحة الصهيونية في العراق ١٩٤٥-١٩٤٦، دار وهران، دمشق، ١٩٨٦، ص١٣٠.

(٤٥) عزيز الحاج، المصدر السابق،ص١١١.

(٤٦) عبد اللطيف عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٤٧) جعفر عباس حميدي، التطورات الداخلية، ص. ص ٦٠٢- ٦٠٣.